تفسير
سورة المرسلات

تفسير سورة المرسلات

وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والمرسلات عرفا (١) فالعاصفات عصفا (٢) والناشرات نشرا (٣) فالفارقات فرقا (٤) فالملقيات ذكرا (٥) عذرا أو نذرا (٦) إنما توعدون لواقع (٧) فإذا النجوم طمست (٨) وإذا السماء فرجت (٩) وإذا الجبال نسفت (١٠) وإذا الرسل أقتت (١١) لأي يوم أجلت (١٢) ليوم الفصل (١٣) وما أدراك ما يوم الفصل (١٤) ويل يومئذ للمكذبين (١٥)﴾.

(١)
جملة الكلام في عمود السورة وربطهما بالسابقة

اعلم أن عمود هذه السورة مثل أخواتها التي وضعت في أواخر القرآن هي أصول الدعوة الأولى، وهي ثلاثة أمور: الإنذار بيوم القيامة، والخشوع لله تعالى، والإحسان إلى الخلق.

والأول أصل للإيمان بالقرآن. فإن أول تجليه كونه إنباء بالعدل والجزاء والإنذار بيوم عظيم. والثاني أصل للصلاة والتوحيد. والثالث أصل للشرائع كلها. وهذه الأمور مبسوطة في موضعها.

فبحسب ذلك صرف الكلام في هذه السور على أنحاء، كما قال تعالى: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا﴾ [سور بني إسرائيل/٤١]. فعلى هذا بين من هذا العمود العام بعض الجوانب في بعضها، وبعضها في الأخرى ويخاطبهم فيها من جهتي الفكر والحس، وجانبي العقل والقلب.

ولذلك يجمع الأدلة بالترغيب والترهيب على أنحاء شتى كما هو مقتضى البلاغة.

وعلى هذا كما ذكر جانب المعاد والقرآن والصلاة في السورة السابقة ذكر ذلك في هذه أيضا، ولكن ما جعله هناك مجملا جعله ههنا مفصلا.

ففي السابقة أوجز الاستدلال على المعاد، فبسط في هذه. وهناك في تصوير المعاد بسط جانب الترغيب، فههنا بسط جانب الترهيب. وذلك رعاية لإلحاق الإنذار بالتبشير، كما قال تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ [سورة الأنعام/٤٨، وسورة الكهف/٥٦]. وهذه جملة الكلام. ويتضح ما ذكرنا من النظر في السورتين والتدبر في نظمهما

(٢)
مقدمة في مواقع ترجيعها بقوله تعالى "ويل يومئذ للمكذبين"

اعلم أن هذه السورة من ذوات الترجيع، فإنك ترى فيها آية: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قد جاءت عشر مرات. وقد سبق في تفسير سورة الرحمن ما يتعلق بهذا الأسلوب، فلا نعيده غير أمر واحد. وهو أن من حسن الترجيع مناسبته لما قبله من الذكر. ولذلك لابد أن يكون جامعا لوجوه من المعاني. فعلى هذا تجد هذه الآية مناسبة بما قبلها بوجه يختص بموقعها لما فيها من الوجوه الكثيرة، وذلك من جهة أسلوبها، ومن جهة كلماتها الثلاث. فنذكر ههنا ما تشمل من الوجوه:

(ألف): أما أسلوبها فيحتمل الإنشاء والإخبار. والإخبار إما لبيان ثبوت الويل، كما جاء في كثير من الآيات، مثلا: ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [سورة البقرة/٧٩]، أو لبيان قولهم في

ذلك اليوم، كما جاء في القرآن: ﴿قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين﴾ [سورة الصافات/٢٠]. أيضا: ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ [سورة يس/٥٢]. وتكرار الويل يدل على كثرة أسبابه على تأويل الثبوت، وعلى كثرة مواقعه على تأويل تكلمهم بها، كما بين ذلك حيث جاء: ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ [سورة الفرقان/١٣-١٤]. فهذا جامع لكثرة أسباب الويل وكثرة التكلم به.

(ب): أما كلمة ويل فهي تجمع كل ما يكون سببا للويل مما يصيبهم من الحزن والحسرة والفزع وما أعد لهم من العقاب. وربما يصرح بما يكون سببا للويل، كما في قوله تعالى: ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ [سورة إبراهيم/٢]. أيضا: ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [سورة البقرة/٧٩]. أيضا: ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ [سورة الذاريات/٦٠]. وبالجملة فكلمة الويل ليست مختصة بأمر خاص، وقد سبق ما يبين كثرتها لكثرة أسبابها.

(ج): أما كلمة "يومئذ" فهي إشارة إلى كل ما سبق ذكره. فإن معناها: يوم يكون كذا، فيصرف معناها حسب موقعها.

(د): أما اسم "المكذبين" فهو جامع للتكذيب بالبعث وآيات التوحيد، وذلك هو الأصل ؛ وأيضا للتكذيب بالرسول وكتاب الله، وذلك تفصيل للأصل. وقد صرح القرآن بهذه الوجوه كلها، وبين أيضا أن المكذب بالأصل لابد يكذب بما ينطوي على تفاصيله كما قال تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا. وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ [سورة الإسراء/٤٥-٤٦].

فبين أنهم إذ كذبوا بلقاء الله وتوحيده ثقل عليهم سمع ما يدعوهم إليهما. وهذا مبسوط في موضعه.

وعلى هذا فآية الويل تلمع بحسب الظاهر إلى المكذبين بيوم القيامة، ولكن خاتمة السورة تكشف عن وجهها الآخر وهو التكذيب بهذا القرآن. ولا فرق بينهما في حقيقة الأمر غير الإجمال والتفصيل.

هذا، فلما كان في آية الترجيع هذه الوجوه من المعاني لابد أن يكون تأويلها حسب موقعها.

هذا، وأما وجوه تأويلها حسب كل موقع فادخرناها لمواقعها

(٣)

تفسير الكلم وتأويل بعض الجمل في آيات (١-١٥)

(والموسلات عرفا) أرسل الشئ ضد أمسكه. والرياح إذا سكنت فكأنها ممسكة، فإذا جرت فكأنها أرسلت. قال تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ [سورة الحجر/٢٢] و"العرف": ناصية الفرس، كما هو معروف. قال امرؤ القيس:

نمش بأعراف الجياد أكفنا　　إذا نحن قمنا عن شواء مضهب ١٢٢

فههنا شبه الرياح بالأفراس، وشبه إسكانها وإجرائها بأخذ ناصية الفرس وإرسالها. ودل بذلك على أنها تجري بأمر ربها، فهو مالكها ومصرفها. قال تعالى: ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ [سورة هود/٥٦]. إرسال الريح يكون للنفع والضرر كليهما وقد جاء في القرآن وليس في محض الإرسال دلالة على الشدة، فلذلك عطف عليه العاصفات بالفاء.

---

١٢٢ ديوانه: ٥٤ .

(فالعاصفات عصفا) أي بعد الإرسال تشتد، وهذا يكون كثيرا للضرر. قال تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان﴾ [سورة يونس/٢٢].

(والناشرات نشراً) نشره: بسطه، وبثه، وأثاره، وأنبته. وهذه معان متقاربة. قال تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ [سورة التكوير/١٠]. وأيضا: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ [سورة الشورى/٢٨]. وأيضا: ﴿وجعل النهار نشورا﴾ [سورة الفرقان/٤٧]. فالناشرات ههنا الرياح، لجمعها وجوها من النشر. فإنها تثير السحاب، وتبسط في السماء، وتنشر رحمة الرب، وتنبت النبات. ولا يخفى أن هذا وصف مستقل غير متعاقب للعصف، فعطفه بالواو.

(فالفارقات فرقا) أي الرياح تفرق، وتميز فتأتي بالمطر مرة وتذهب بالسحب أخرى، وتنفع قوما وتضر قوما، كما بينا ذلك في تفسير سورة الذاريات تحت قوله تعالى: ﴿فالمقسمات أمرا﴾ [سورة الذاريات/٤]. وإذ يكون هذا الفرق بعد فعل النشر عطفه بالفاء.

(فالملقيات ذكرا) قد ذكر القرآن كثيرا أن في تصريف الرياح آية وذكرا، فلأجل السببية نسب إليها الفعل. وهذا كثير، مثلا نسب فعل الإضلال إلى الأصنام في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾ [سورة إبراهيم/٣٥-٣٦]. فبعد ذكر تصاريف الرياح نبه على كونها مما يذكر قدرة الرب وحكمته بالحق.

(عذرا أونذرا) أي هذا إلقاء الذكر من الله تعالى بسبب تصريفه الرياح إنما هو ليكون عذرا وحجة على الغافلين، وإنذارا للمتذكرين.

وكلمة "أو" للتوزيع. ويشبه ذلك ما ذكر الله تعالى عن قول المصلحين من عباده: ﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾ [سورة الأعراف/١٦٤]. أي معذرة منا في حق من لا يتعظ، ونافعة في حق من يتقي.

(إنما توعدون) يعم كل ما وعدوا من مجئ القيامة والبعث، والفصل والجزاء كما صرح به في النظائر. وكل ذلك أمر واحد فذكرها مجملا.

(طمست) طمس الشئ: محاه وغطى على آثاره، مثلا: ﴿من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها﴾ [سورة النساء/٤٧]. أيضا: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ [سورة يونس/٨٨].

(وإذا السماء فرجت) كما في قوله تعالى: ﴿وفتحت السماء فكانت أبوابا﴾ [سورة النبأ/١٩]. أيضا: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [سورة الانفطار/١]. فالمعنى: أن السماء التي تروها الآن محكمة لا فرجة فيها ولا فطور، كما جاء: ﴿وما لها من فروج﴾ [سورة ق/٦]، أيضا: ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ [سورة الملك/٣]، فهذه السماء مع إحكام خلقها تنفرج ذلك اليوم بأمر خالقه.

(وإذا الجبال نسفت) نسفه: كسره، وفرقه، ودقه، ونفضه. ومنه "المنساف" لآلة تكسر بها الحنطة وتنفض من العصف. قال تعالى إخبارا عن قول موسى عليه السلام: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ [سورة طه/٩٧]، وقال تعالى: ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا. فيذرها قاعا صفصفا﴾ [سورة طه/١٠٥-١٠٦].

(أقتت) مبدل من "وقتت" كـ''أجوه'' من وجوه. والتوقيت: تعيين الوقت. والمعنى: أقت لهم الوقت. وهذا الأسلوب كثير، كما تقول:

ابغني خادما وأرسلني فرسا. أي ابغ لي خادما وأرسل إلي فرسا.

أي إذا جعل للرسل وقتا معينا فيسألون عن أمتهم ويقضى عليهم بشهاداتهم، كما صرح به القرآن في مواضع.

(أجلت) أجل له: ضرب له أجلا وزمانا معينا، كما في قوله تعالى: ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ [سورة الأنعام/١٢٨]. فتأويل "أجلت" إما كما ذكرنا في وُقتت، أو أُجلت الآجال. ولا فرق بين التأويلين من جهة المفهوم.

(وما أدراك) أي عظيم. فإن هذا الاستفهام ربما يأتي لمحض التفخيم، فيستغني عن الجواب، كما في قوله تعالى: ﴿الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ماالحاقة. كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ [سورة الحاقة/١-٤].

(ويل يومئذ للمكذبين) قد مر وجوه هذه الآية، فسنذكر ما يناسب هذا الموقع. وأما ههنا فاعلم أنها ليست بجزاء لقوله تعالى: ﴿فإذا النجوم طمست﴾ إلى آخره [الآيات/٨-١٤]. فان نظائرها مستقلة مع اتصال معنوي. ولأن الجزاء في نظائر هذا الشرط يكون مصدرا بالفاء إلا أن يكون جملة فعلية أو ظرفية، مثلا قوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير﴾ [سورة المدثر/٨-٩]. وأيضا: ﴿يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين﴾ [سورة الطور/٩-١١]، ولأنك تجد الجزاء محذوفا في نظير هذا الشرط مثلا: ﴿إذا السمآء انشقت. وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت. يا أيها الإنسان إنك كادح﴾ [سورة الانشقاق/١-٦]، فحذف الجزاء لكونه مفهوما من سياق الكلام.

(٤)

بيان وجه الاستشهاد بالرياح، ونظم هذه الآيات وموقعها

قد بينا في كتاب "الإمعان" أن هذه الأقسام شهادات وآيات دالة على المقسم عليه. فأشهد الرياح المرسلات العاصفات، والناشرات السحب والنباتات والدواب، والفارقات بين آثارها، فأرض ممطورة وأرض غير ممطورة، وقوم مصاب بالنفع وقوم بالضرر من المطر والإعصار، والصاعقة والبرد. وذلك يدل على تصريف الرب تعالى إياها حسب مشيئته، فإنه مع ما جعلها بشرى بين يدي رحمته ربما يهلك بها أمة ظالمة وربما ينجي بها أمة صالحة وربما يمسكها وربما يرسلها.

وقد بينا ذلك في تفسير سورة الذاريات وصرح القرآن بهذه الأمور في غير موضع فلا حاجة ههنا إلى إيراد الآيات الشاهدة.

فعلى هذا الأصل استدل على يوم الدين بما يظهر من دينونة الرب تعالى في الدنيا من تصريف الرياح للرحمة والنقمة والمنافع والمضار، فدلت على ربوبيته وقدرته وحكمته وتدبيره. فظهر أنه ينعم على عباده ويعذبهم، وليس بغافل عنهم، فلابد أن يدينهم يوما حسب أعمالهم. وهذا هو أصل الاستدلال على الدينونة.

ثم لما كانوا من شدة غفلتهم ينكرون بيوم الدين من جهتين: من جهة كونه عجيبا، ومن جهة تأخره فإنه قد وعدوا به ولما يأتهم، فبحسب هاتين الشبهتين أجرى الكلام ههنا.

فأما الشبهة الأولى فأزاحها بأن ذكر من أمر يوم القيامة ما هو مشابه بفعل الرياح. فإنها تطمس على الأعلام وآثار الديار، وتفرج السحب. وربما تشتد فتخرق البيوت وتذهب بالسقوف. وربما تهدم القصور المشيدة، وتحطم وتنسف أجزاءها. فمن يعتبر بتصاريف الريح لا

يستبعد أن يأتي أمر الله فيطمس النجوم ويفرج السماء وينسف الجبال. فجعل الله أفعال الرياح آية على ذلك.

وأما الشبهة الثانية وهي معظم ما يتمسكون به، وقد أجاب عنه كثيرا وبوجوه، مثلا قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ [سورة فاطر/٤٥].

وأما ههنا فذكر أنه يوم الفصل. فمن رحمته أن أمهلهم برهة وأكثر لهم من النصيحة والعبرة ليتم الحجة على الغافل، ولينجي من ينتفع بالنذر. فإنه إذا جاء يوم الفصل لا يقبل من المجرمين الغافلين توبة، ولا يسمع منهم عذر، ولا تبقى لهم حيلة تنجيهم من الانتقام والبطش الشديد والعدل التام، كما صرح به فيما يأتي من بعد. فعظم أولا أمر هذا يوم الفصل والحساب، ثم نبه على شناعة أمر من يكذب بمجيئه إذ لا يخافون ما هو آت وإن أخر إلى أجل مسمى.

فموقع آية (١٥): ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بعد ذكر يوم الفصل ويوم الجزاء موقع كلام جامع يشمل كل ما يقع عليهم في ذلك اليوم وقد ذكر بعد ذلك أسباب الويل ووجوهه، كما سيأتيك. فبعد كل ترجيع يتضح طرف خاص من معناه الجامع.

هذا، وبعد ما استدل عليهم بأمور الفطرة العامة عمد إلى الاستدلال بالوقائع الماضية والآثار الدالة وسنن الله الجارية عليهم، كما هو كثير في القرآن. فقال عز من قائل حكيم:

﴿ألم نهلك الأولين (١٦) ثم نتبعهم الآخرين (١٧) كذلك نفعل بالمجرمين (١٨) ويل يومئذ للمكذبين (١٩) ألم نخلقكم من ماءٍ مهين (٢٠) فجعلناه في قرار مكين (٢١) إلى قدر معلوم (٢٢) فقدرنا فنعم

القادرون (٢٣) ويل يومئذ للمكذبين (٢٤) ألم نجعل الأرض كفاتا (٢٥) أحياءً وأمواتا (٢٦) وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتا (٢٧) ويل يومئذ للمكذبين (٢٨)﴾.

(٥)

تفسير الكلم وتأويل الجمل في الآيات (١٦-٢٨)

(مهين) المهنة: عدم الاعتناء. مهنت الإبل: خليتها عن الصدر. ومنه الابتذال والتحقير. امتهنت الشئ: ابتذلته، والرجل: أضعفته. ومنه "الماهن": الخادم. ومنه المهنة: الخدمة. ومهنه: خدمه. قال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ [سورة القلم/١٠]، أي من هو مبتذل النفس. أيضا إخبارا عن قول فرعون حين استخف موسى عليه السلام: ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾ [سورة الزخرف/٥٢].

(قرار) القرار: هو السكون، وأيضا موضع القرار. قال تعالى: ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [سورة غافر/٣٩]، أي دار السكون وقال تعالى: ﴿أمن جعل الأرض قرارا﴾ [سورة النمل/٦١]، أي موضع القرار. أيضا: ﴿يصلونها وبئس القرار﴾ [سورة إبراهيم/٢٩]. ومنه "القرار" للمستقر المطمئن من الأرض. قال تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ [سورة المؤمنون/٥٠].

(مكين): مطمئن. ويوصف به الموضع، فيدل أنه خال عن القلق والتزعزع كما هو ههنا. وربما يوصف به ذوو العقول، فيدل على كونهم ذوي الثقة والاعتماد، وذوي الرسوخ في المرتبة كما قال تعالى: ﴿عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين﴾ [سورة التكوير/٢٠-٢١]، وكما أخبر عن قول ملك مصر ليوسف عليه السلام: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ [سورة يوسف/٥٤].

(قدر) قدر الشئ: مبلغه ومقداره. قال تعالى: ﴿إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ [سورة القمر/٤٩]. أيضا: ﴿وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [سورة الحجر/٢١]. وكذلك المعنى بسكون الدال. قال تعالى: ﴿قد جعل الله لكل شئ قدرا﴾ [سورة الطلاق/٣]. وأيضا: ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ [سورة الأحزاب/٣٨].

(معلوم): معين. وقد مر الشاهد آنفا. فإن ما لم يتعين فقد أبهم ولم يعلم.

(قدرنا) من القدر بمعنى التقدير. وقد مر الشاهد آنفا. وأيضا من القدرة، وهذا كثير. وههنا كلا الوجهين سائغ، والخلق يدل عليهما. ولكل نظائر في القرآن.

(كفاتا) من كفته: ضمه وجمعه. وفي الحديث: "اكفتوا صبيانكم بالليل" ومنه كفته عن وجهه: صرفه. ومنه الكفت بالكسر: للقدر الصغيرة. والفعال بمعنى ما يفعل به كالزمام. ولذلك صار في قوة الفاعل،فصح وقوع المفعول بعده.

(رواسي شامخات) أي جبالا راسيات الأصول، عاليات الفروع. ولدلالة الصفة على الموصوف استغنى عن ذكره، كما هو شائع في العربية، وكثير في القرآن.

(فراتا) الفرات هو الماء التام الحلاوة. قال تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾ [سورة الفرقان/٥٣]، وقال تعالى: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ [سورة فاطر/٢٠]. ومنه سمي نهر الكوفة فراتا.

(٦)

تفسير الآيات السابقة ووجوه دلالتها على المعاد، ونظامها

لا يخفى أن في هذه الجملة ثلاث ترجيعات بعد ثلاث خطابات، كلها مصدرة باستفهام إقراري. فإنهم خوطبوا بما علموه. ثم بكل من هذه الخطابات دل على المعاد بوجه خاص. فدل أولا بالآثار الباقية في الأرض، وثانيا بخلق الإنسان وتصويره في بطون أمهاتهم، وثالثا بما جعل الأرض لهم مثل الأرحام.

وتفصيل هذا الإجمال أن الخطاب الأول يذكرهم ما هو المشهود حولهم من آثار المجرمين. فإنهم قد علموا أن الله تعالى أهلك بعض الأمم مثل عاد وقوم لوط بالريح. ولما قدم الاستشهاد بالريح وبذلك أنذرهم بما تبين لهم من آثار العذاب على المكذبين المجرمين من أهل القرى المهلكة حولهم، فاكتفى بقوله: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ - إلى قوله - ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ [سورة المرسلات/١٦-١٨] عن ذكر الآثار الدالة على جزائهم. وقد فصل في القرآن هذا التأويل في مواضع، مثلا قوله تعالى في قصة عاد: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين. ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ - إلى قوله - ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾ [سورة الأحقاف/٢٤-٢٧].

فبالخطاب الأول كأنه قيل لهم: لقد أهلكنا المجرمين الأولين، وهذه سنتنا الجارية، فأهلكت أمم مجرمة بعضها بعد بعض، وقد علمتموه وسمعتموه، فهكذا تكون في الآخرة. وبذلك دل على وقوع يوم الفصل، فأغنى عن ذكره، وأتبعه قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ [الآية/١٩] تنبيها

على ما يفعل بالمجرمين. فإن "الويل" جامع لكل ما يقع عليهم من العذاب.

وموقع الآية ههنا يدل على كون التكذيب بيوم الفصل جرما عظيما، فإنه كفر بعدل الرب وقدرته ورحمته. ثم هو منبع لكل إثم، وشرك واستكبار عن الإيمان بآيات الله وكتبه ورسله. وقد صرح بهذه الأمور كلها في غير موضع.

والخطاب الثاني تعقيب ما في الأرض ما في أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [سورة الذاريات/٢٠-٢١]. وبما ذكر في هذا الخطاب نبههم على أن الله الذي قدر جزئيات خلقكم كيف يترك ما هو الكلي وأهم، وأيضا دل على أنه تعالى إذ قدر على خلقكم وتصويركم أولا فهو أشد قدرة على بعثكم مرة أخرى، كما قال تعالى: ﴿ويقول الإنسان أ إذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئا﴾ [سورة مريم/٦٦-٦٧]. ومن كلا الوجهين دل على وقوع يوم الفصل فأغنى عن ذكره. ثم أتبعه قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ [الآية/٢٤] تنبيها على تحتم الويل لهولاء الذين كذبوا بالقدر. أو القدرة فإذا بعثوا ظهر ويلهم إذا شاهدوا ما كذبوا به، كما قال تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين. هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ [سورة الصافات/١٩-٢١].

والخطاب الثالث يضم المثل بالمثل. فإن الأرض كما هي تشتمل على الآثار الدالة على المعاد كما مر فيما ذكرنا من قصة عاد، وذلك في غاية الظهور وقد جاء في القرآن كثيرا، فكذلك هي مشابهة بالأرحام بل هي أولى منها في الصفات المشتركة بينها. وقد دل على ذلك أيضا بقوله: ﴿كفاتا أحياء وأمواتا﴾ [سورة المرسلات/٢٥-٢٦]، فهذا أجمع.

وبيان هذا الإجمال أن الله تعالى بما جعل في الأرض من الجبال وجعلها راسية فجعل بها الأرض قرارا مكينا، كما قال الله تعالى: ﴿و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ [سورة النحل/١٥]. ثم جعلها شامخات فحفظ بها السحب، وخزن فيها الماء، وفجر منها ينابيع، وقد صرح القرآن بهذه الأمور. وبالجملة فأجرى للإنسان من رؤوسها ولصابها وعروقها ماء فراتا فبذلك جعل له الأرض كالرحم الذي هو القرار المكين له، كما قال تعالى: ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ [الآية/٢١]، ويسقى فيه من عروق يجري منها إليه غذاؤه. ولكن الأرض أجمع وأتم في هذه الأمور كلها، فهي كالرحم لجميعهم. ثم إذا مات الإنسان ودفن فيها فكأنه وضع في رحم أمه التي ولدته، كما تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [سورة طه/٥٥]. والإخراج مرة أخرى ليست بأكثر عجبا من الأول، فكيف يكذبون به.

فلو اعتبروا بأمر الأرض ومحياهم ومماتهم فيها لم يمكنهم الإنكار بالبعث، بل علموا أنهم إذا ولدوا فكأنهم حملوا وإذا ماتوا فقد وضعوا. ثم من جهة أخرى إذا ماتوا فقد حبلت بهم الأرض فلابد من يوم مخاضها ووضعها ما ثقلت به، كما قال تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [سورة الزلزال/١-٢].

وحقيقة هذا الكلام هي الاستدلال على المعاد من جهة الربوبية والإحاطة بهم أحياء وأمواتا.

هذا، وإذ دل على يوم الفصل استغنى عن ذكره. ثم أتبعه قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ [الآية/٢٨]، فدل بموقعه على تحتم الويل لمن كذب بالربوبية، والإحاطة. فإذا حشروا جميعا إلى ربهم تبين ويلهم بما كذبوا، كما قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم

ينسلون. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ [سورة يس/٥١-٥٢].

هذا، ومن أسلوب البلاغة جعل الغائب حاضرا مشهودا. فبعد ما ذكر من الدلائل على يوم الفصل خاطبهم بكلام يناسب مشهده كأن ذلك اليوم قد حضر، وكأنهم قد حشروا إلى ربهم، وقد صاروا ينظرون ما كانوا يكذبون به. فقال عز من قائل حكيم:

﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣١) إنها ترمي بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جمالت صفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤) هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧) هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين (٣٨) فإن كان لكم كيد فكيدون (٣٩) ويل يومئذ للمكذبين (٤٠)﴾.

(٧)
تفسير الكلم وتأويل الجمل في الآيات (٢٩-٤٠)

(ظل ذي ثلاث شعب) أي ظل من الدخان، فإن الدخان إذا علا من نار عظيمة شديدة اللهب انشعب كالشعلة، واسبطر كالظلة. وسيأتيك تأويل ذلك.

(لا ظليل) الآية. أي خال من برد الظل، كما بينه بقوله: ﴿ولا يغني من اللهب﴾ [الآية/٣١]، وكما قال تعالى: ﴿وظل من يحموم لا بارد ولا كريم﴾ [سورة الواقعة/٤٣-٤٤]. وموقع النفي إزالة ما يوهم من لفظ الظل.

(إنها) أي اللهب التي وراء ذلك الظل.

(كالقصر) القراءة المشهورة الباقية الجارية على الألسن إنما هي

بسكون الصاد، فلا يلتفت إلى ما نسب إلى ابن عباس ﵄ من أن المراد به أعناق الإبل على أنه جمع "القصرة" بمعنى أصل العنق ١٢٣. ثم الفاصلة التالية لا تواتيه. ثم أصل العنق موضع وليس بعضو مستقل، فتشبه به الشرر.

وكذلك لا يلتفت إلى قول من زعم أنه جمع "قصرة" لأصول الشجر العظام ١٢٤، فإن التشبيه التالي لا يواتيه ثم هما كلمتان غريبتان عن لسان القرآن ولا قرينة معهما. وأما لفظ "القصر" فقد جاء في القرآن غير مرة. فالتأويل الظاهر هو الصحيح وهو الذي روي عن ابن مسعود ﵁ ١٢٥.

وعلى هذا فالتشبيه إنما هو في عظم الشرر وعلو مكانه ولونه. فإن القصور تبنى على المواضع العالية وترى من البعد لامعة مخالفة للون ما تحتها. وليس المراد بالتشبيه عظم القصر كما هو. بل حسبما يتراءى من البعد. فإن العرب استعملوه مشبها ومشبها به بحسبما ذكرنا، كما قال عمرو بن كلثوم:

وأعرضت اليمامة واشمخرت   كأسياف بأيدي مصلتينا ١٢٦

ولذلك كانوا يشبهون الناقة بالقصر والجسر وهذا كثير، فلا حاجة إلى الشواهد. والتشبيه بجمالة صفر بعد ذلك يبين ما ذكرنا.

(كأنه جمالة صفر) الضمير راجع إلى "الشرر" بحسب اللفظ. فإن الشرر اسم الصنف فيستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والكثير. والمراد ههنا الكثير، كما دل عليه تشبيهه بالجمالة. والجمالة هي جماعة الإبل

---

١٢٣ انظر الطبري ٢٩: ١٤٧ .

١٢٤ وهو قول الضحاك المرجع السابق ٢٩: ١٤٧ .

١٢٥ انظر الكشاف للزمخشري ٤: ١٧٤ وتفسير ابن كثير ٤: ٤٦٠-٥٦١

١٢٦ انظر شروح المعلقات .

الذكورة١٢٧. وهذا التشبيه يصور لون الشرر وعظمه معا، وإنما وصف بالصفرة لكونه يرى وراء الدخان.

(٨)

لامعة من قوله تعالى: ﴿ظل ذي ثلاث شعب﴾

اعلم أن قوله تعالى: ﴿ظل ذي ثلاث شعب﴾ [الآية/٣٠]، يصور جهنم مقبلة إليهم بشعب دخانها مثل ذوات العقول. وقد جاء في القرآن تصويرها هكذا، مثلا في قوله تعالى: ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ [سورة الفرقان/١١-١٢]. وأوضح من ذلك قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ [سورة ق/٣٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿إنما لظى. نزاعة للشوى. تدعوا من أدبر وتولى﴾ [سورة المعارج/١٥-١٧].

والظاهر من "ثلاث شعب" شدة وهجان النار فقط. ثم للتدبر مجال في التأويل وذلك أن أصل الكفر ثلاث خصال: الذهول عن الخالق، وعدم المواساة بالمخلوق، والإنكار بيوم الدين، كما هو مبسوط في موضعه. فنكتفي ببعض الشواهد مثلا ما جاء في ذكر سؤال أهل الجنة أهل النار: ﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين و لم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين﴾ [سورة المدثر/٤٢-٤٦].

والمراد بالخوض ههنا هو تكذيب القرآن، وكان أصل ذلك إخباره عن يوم الدين.

أيضا قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره

---

١٢٧ انظر لسان العرب (جمل)

لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ [سورة الليل/٥-١٠]. فبحسب هذه الثلاث من خصالهم تخرج ثلاث شعب من جهنم وتقبل إليهم وتطل عليهم كالظلة. والله تعالى أعلم.

وقد ذكر عن ابن عمرو ما يقرب من ذلك – روي عن أبي عبد الله الجدلي قال:

"أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين ولآخرين في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويقول الله: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فان كان لكم كيد فكيدون﴾ [سورة المرسلات/٣٨-٣٩]، اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: فإنا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت: أيها الناس ! إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لا يغيبهم عني وزر ولا تخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله إلها آخر، وكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة" (أخرجه ابن حاتم)١٢٨.

أقول لعل ما ذكر من ثلاث فرق أخذه من قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. مناع للخير معتد مريب. الذي جعل مع الله إلها آخر فالقياه في العذاب الشديد﴾ [سورة ق/٢٤-٢٦]. والتأمل فيه يبين الصفات التي ذكرنا- أي عدم المواساة بالمخلوق، والإنكار بالآخرة، والذهول عن الرب تعالى، فإن الشرك من ذلك الباب.

---

١٢٨ تفسير ابن كثير ٤: ٤٦١ .

(٩)

النظر في مجموع هذه الآيات ونظمها ومواقع ترجيعها

(١) قد سبق أن هذا الخطاب جاء على أسلوب يجعل الغائب مشهودا، وإنه أعظم تأثيرا في القلوب. ولما كان المقصود ذلك التأثير صوره بحسبما يملأ الحاسة، وبذلك صور لهم الويل الذي يكون لهم. فرجع بآية الويل ودل موقعها على مفهومها الخاص بهذا الموضع، وهو أن لهم ويلا عظيما من شدة العذاب العتيد لهم.

(٢) ثم بعد تصوير المحسوس من شدة ذلك اليوم ذكر ما هو المدرك بقلوبهم، وهو فوات الاستعتاب والاعتذار. وهذا مزيد على شدة ما رأوه. فرجع بآية الويل ودل موقعها على مفهومها الخاص بهذا الموضع، وهو أنه لا يبقى لهم في ذلك اليوم غير الويل المحض والحسرة وانقطاع الرجاء من كل عذر.

(٣) ثم بعد ذكر هذه الترهيبات خاطبهم على سبيل التبكيت والإفحام والجواب لإنكارهم في الدنيا. وذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون. أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ [سورة الطور/١٤-١٥].

وفي هذا الخطاب ذكر سعته لجمعه الأولين والآخرين وخاطبهم مرة أخرى بأسلوب يقيم الغائب بين أيدي المخاطبين، ويبين فوات كل حيلة، وهذه سعته المعنوية. وكما ذكر فيما سبق فوات الاعتذار ذكر ههنا فوات كل كيد وتدبير وقوة، وبذلك أشار إلى كونهم مغترين بحيلهم وتدابيرهم، فكأنه قيل لهم هلا تستعملون تلك المكائد.

ثم بعد ذلك رجع بآية الويل فدل موقعها على مفهومها الخاص بهذا الموضع، وهو أنه لا يكون لهم يومئذ حيلة ولا كيد، بل يكون لهم

ويل وصغار وخزي وشنار.

هذا، ولما كان من سنة القرآن وأسلوبه الخاص جمع الترغيب بالترهيب، ورعاية التوسط بين الشدة واللين رجع بعد الأربعين من الآيات المنذرة إلى ذكر الآيات المبشرة. فقال عز من قائل حكيم:

﴿إن المتقين في ظلال وعيون (٤١) وفواكه مما يشتهون (٤٢) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (٤٣) إنا كذلك نجزي المحسنين (٤٤) ويل يومئذ للمكذبين (٤٥) كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون (٤٦) ويل يومئذ للمكذبين (٤٧) وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون (٤٨) ويل يومئذ للمكذبين (٤٩) فبأى حديث بعده يؤمنون (٥٠)﴾ .

(١٠)

تفسير الكلم وتأويل الجمل في الآيات: (٤١-٥٠)

(في ظلال) الخ أي بين ذلك، كما جاء كثيرا مثلا: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة. وفرش مرفوعة﴾ [سورة الواقعة/٢٧- ٣٤]. والمراد به ذكر ما هم محفوفون به كما قال برج بن مسهر الطائي:

فبتنا بين ذاك وبين مسك   فيا عجبا لعيش لو يدوم

(هنيئا) حال من المفعول المفهوم من الفعل المتقدم، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فكلوه هنيئا مريئا﴾ [سورة النساء/٤]. ولو كان مصدرا جعلناه مفعولا مطلقا. ووقوع الحال عن ذي حال مفهوم سائغ، مثلا قولهم: "راشدا مهديا" للمسافر.

(وإذا قيل لهم) "إذا" كثيرا ما تجئ للاستقبال. وقد جاء في القرآن أن الناس إذا حشروا دعوا للسجود لربهم، فالذين لم يسجدوا لله في الدنيا

لم يستطيعوه ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ [سورة القلم/٤٢-٤٣].

وعلى هذا يكون التأويل أنهم لا يركعون يوم الفصل، وهكذا روى عن ابن عباس[١٢٩].

وأيضا كلمة "إذا" تكون لبيان العادة. وعلى هذا يكون التأويل أنهم لا يركعون في الدنيا، وحينئذ يفهم من آية: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ [الآية/٤٩] أنهم إذ لم يركعوا في الدنيا لا يستطيعونه يوم الفصل. وحينئذ يتضح جرمهم، وهذا سبب ويلهم. فمآل التأويلين واحد.

(بعده) أي بعد هذا الحديث الذي يذكرهم المعاد، ويدعوهم إلى ربهم بأوضح القول وأبلغ الحجة، كما قال تعالى: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ [سورة الجاثية/٦]. أي بعد حديث الله وما أوضح لهم من الآيات. وهذا أوفق بقوله: "فبأى حديث". أي أيّ حديث يكون أوضح وأبلغ في النفوس فيؤمنوا به إن لم يؤمنوا بهذا الحديث.

وأما القول بأن المراد به: بعد ذلك اليوم فاحتمال ضعيف. فإنهم لابد يؤمنون في ذلك اليوم، كما هو ظاهر وكما قال تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة﴾ [سورة الواقعة/١-٢]. ولو كان ذلك هو المراد لقيل: فلأى نفع بعده يؤمنون. فإن استدل بقوله تعالى: ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ [سورة الأعراف/١٨٥]، أي بعد مجيء أجلهم، قلنا إن ههنا ذكر "الأجل" صريح ومتصل فيسوغ رجع الضمير إليه حسب الظاهر ولكنه غير لازم. فإن

---

١٢٩ انظر الطبري ٢٩: ١٥٠ .

سياق الكلام إلى تشنيع المكذبين بكتاب الله وآياته ورسله، كما يظهر من النظر في الآيات السابقة.

وهكذا فهم السلف. قال ابن جرير:

"وقوله: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ يقول فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدقون إن لم يصدقوا بهذا الكتاب" ١٣٠.

وهكذا قال آخرون من المفسرين ١٣١.

فلا استدلال فيه من النظير.

(١١)

تأويل الآيات السابقة ونظمها

قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا﴾ [الآية/٤٣] تصوير للغائب، كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿انطلقوا﴾ [الآية/٣٠].

قوله تعالى: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ [الآية/٤٤] محتمل للتأويلين:

الأول أن يكون متصلا بالخطاب المتقدم، كما قال تعالى بعد ذكر نعيم الآخرة: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾ [سورة الدهر/٢٢]. وأيضا: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

والثاني أن يكون التفاتا وخطابا عاما، ولذلك نظائر كثيرة والحمل على النظائر اقرب.

---

١٣٠ الطبري ٩: ٩٣ .

١٣١ قال ابن كثير: أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٤: ٤٦٢ .

وموقع آية الويل ههنا المقابلة أي حين يجزى المحسنون بالنعيم كان العذاب للمجرمين، فويل لهم من نفس العذاب ومن حسرهم على ما فاز به المؤمنون. إذ لم يكونوا مثلهم فأصابهم غم على غم.

قوله تعالى: ﴿كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون﴾ [الآية/٤٦] التفات إلى الكافرين، وجامع لوجوه من البلاغة:

١- فيه مقابلة بما ذكر من نعيم المؤمنين وتهنئتهم.

٢- وفيه تهديد من عذاب قريب.

٣- وفيه تشنيع لغرورهم بالمتاع القليل، كمن قضى عليه بعقاب شديد وأمهل قليلا ليتمتع نهارا أو ليلة بما يشتهي من الطعام والشراب. فلا يهنأله ويكون له شجي وغصة.

وقوله تعالى: ﴿إنكم مجرمون﴾ دل على يوم الجزاء، أي الآن كلوا وتمتعوا قليلا، فقد قضى عليكم بأنكم مجرمون. فلابد من يوم مسئلة وجزاء كما قال تعالى: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ [سورة إبراهيم/٣٠]. فحسن موقع آية الويل ههنا. ومفادها بيان تحتم الويل وشدته من الوجه الذي ذكرنا آنفا.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾ [الآية/٤٨] بيان لقوله: ﴿إنكم مجرمون﴾ [الآية/٤٦] على كلا التأويلين، لقوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ [الآية/٤٨]، فإن من لم يركع لله في الدنيا فقد ارتكب جرما عظيما. فإن أول الفرائض الخشوع لله تعالى وأكبر الكبائر الاستكبار عنه، وذلك لازم التكذيب، كما قال تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى. أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى﴾ [سورة القيامة/٣١-٣٥].

وأما على التأويل الثاني فبأنكم مجرمون، الآن ثم ذكر أن جرمهم

يتبين يوم القيامة إذا دعوا إلى الركوع وعجزوا عنه. ومفاد آية الويل ههنا بيان كون الويل نتيجة لعدم ركوعهم على كلا التأويلين.

وقوله: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ [الآية/٥٠] خاتمة جامعة لكل ما حدثهم به من: (١) الدلائل، (٢) والترغيب، (٣) والترهيب. وأسلوب الاستفهام ينبه.

١- على علو منزلة هذا الحديث الكامل في التبليغ.

٢- وعلى قلة الرجاء بإيماهم.

٣- وعلى شناعة تكذيبهم به.

وموقع الآية يدل على التوديع بعد إتمام الحجة.

ولهذا الأسلوب نظائر، مثلا قوله تعالى في آخر سورة الطارق:﴿والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع. إنه لقول فصل. وما هو بالهزل. إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا. فمهل الكفرين أمهلهم رويدا﴾ [الآيات/١١-١٧]، وقوله تعالى في آخر سورة الزخرف ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾ [الآية/٨٩]. فهكذا ههنا ختم الكلام بما معناه أنهم إذ لم يؤمنوا بهذا الحديث فلا يؤمنون بحديث آخر فلتسكت وتمهلهم قليلا.

وبهذه الخاتمة قد أوضح طرفا آخر من تأويل المكذبين، وهو أنهم هم الذين يكذبون بما أنزل الله من الحديث. فدل على أن أصل تكذيبهم بالقرآن إنما هو تكذيبهم بيوم الدين وعدم صلاتهم وخشوعهم للرب. وهذا قد صرح به القرآن في مواضع وقد مر بعض الشواهد في الفصل الثاني.

هذا آخر ما تيسر لنا ذكره في تفسير هذه السورة. والحمد لله رب العالمين. والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين.

تفسير سورة المرسلات

فهرس مطالب الفصول